موقف المراكز الدينية الكبرى في العالم الاسلامي من اصوليات العنف

((قراءة مقارنة لدور النجف و الازهر))

الأستاذ الدكتور
عبد الامير كاظم زاهد
مدير مركز دراسات جامعة الكوفة

تعريفات اجرائية :

بدءاً : يراد بالمركز الديني : المؤسسة الدينية العابرة للجغرافيا و التي لها مسالكها المنهجية ، ولها اتباع ، وعندها رؤى ومواقف محددة ازاء القضايا – وتمارس دوراً مهماً في السياسة المحلية و تؤثر في السياسات الدولية وتعد المراكز الدينية تاريخياً مجموعة حواضر مرتبطة من حيث النشأة و التأسيس بالعواصم السياسية للدول الاسلامية المتعاقبة ، فالمدينة المنورة عاصمة دولة الاسلام الاولى (دولة النبوة والخلافة) ،، والكوفة (عاصمة الخلافة الراشدة على عصر الامام علي عليه السلام)، ودمشق (عاصمة الدولة الاموية) وبغداد (عاصمة الدولة العباسية)، والقاهرة (عاصمة الدولة الفاطمية).[1]وقد ظلت هذه المدن التي كانت (عواصم) بعد انتهاء عصورها مراكز دينية موجهة للمجتمع الاسلامي وعلى الرغم من ان المراكز الدينية مرتبطة بالتاريخ فان هناك مراكز نشأت من دون أن يكون لها تاريخ سياسي مثل المراكز الدينية في ايران ، اما المراكز الدينية التي كانت عواصم سياسية فهي (الازهر الشريف ، مكة المكرمة ، المدينة المنورة) ، والحقت بها النجف الاشرف وقم المقدسة).

الاصوليات : اسم يطلق على الافكار والمفاهيم التي تتبناها جماعات متشددة كأيديولوجيات ماضوية غير قابلة للتعامل مع عصورها الحاضرة / بل لديها موقف مضاد من الحداثة ، لأنها تقرأ الحاضر من خلال الماضي لا بوصفه تراثاً فكريا

تتواصل معه انما بوصفه معيارا للفكر و المدنية و العقلانية المعاصرة وهي على انواع (اصولية مؤسساتية)(اصولية دعوية) – اصولية جهادية).[٢]

ونقصد بأصوليات العنف : تلك الجماعات التي ترى ان واجبها الديني هو حمل الناس على منهجهم و مسلكهم وتجيز لنفسها استعمال العنف كوسيلة من وسائل نشر الدين وترى في استعمال القوة والقتل طريقا شرعياً لنشر الاسلام [٣]

المراكز الدينية الكبرى في العالم الاسلامي :

١- الازهر الشريف في مصر :وهو امتداد لازهر الفاطميين وقد بقي حتى الوقت الحاضر مركزاً دينياً عالمياً (ينتهج الوسطية الاسلامية)

٢- مدينة قم المقدسة في ايران : وهي مؤسسة دينية مرجعية نشأت قبل اكثر من قرنين على تراث القميين الاوائل قبل عشرة قرون امثال (العياشي، وابنا بابويه) [٤]

٣- النجف الاشرف في العراق : وهي مؤسسة دينية مرجعية تأسست عام (٤٤٨هـ) عند قدوم الشيخ الطوسي من بغداد الى النجف ، وقد استحدثت مدن كثيرة مارست مهام الدرس العلمي و بأماكن متعددة لكنها بقيت حاضنة للتدريس ومقراً للمرجعية الشيعية ولاتزال مؤسسة مرجعية للشيعة في العالم اجمع [٥]

٤- مكة المكرمة و المدينة المنورة : وهي مراكز ثقافية (غير مرجعية) حالياً علماً انها كانت مراكز مرجعية فيما سبق لكنها حالياً تبنت منهجاً خاصاً بعد ظهور دولة ال سعود – محمد عبد الوهاب و نشوء دولة تعتمد منهج السلفية التقليدية ، وفيهما نشأت الوهابية كحركة تصحيحية ثم تحولت فيما بعد الى حركة سياسية عقائدية وانضوت ضمن الحركات المؤثرة على واقع المنطقة و مستقبلها الاستراتيجي والسياسي والفكري. [٦]

مخطط يوضح اتباع هذه المراكز :

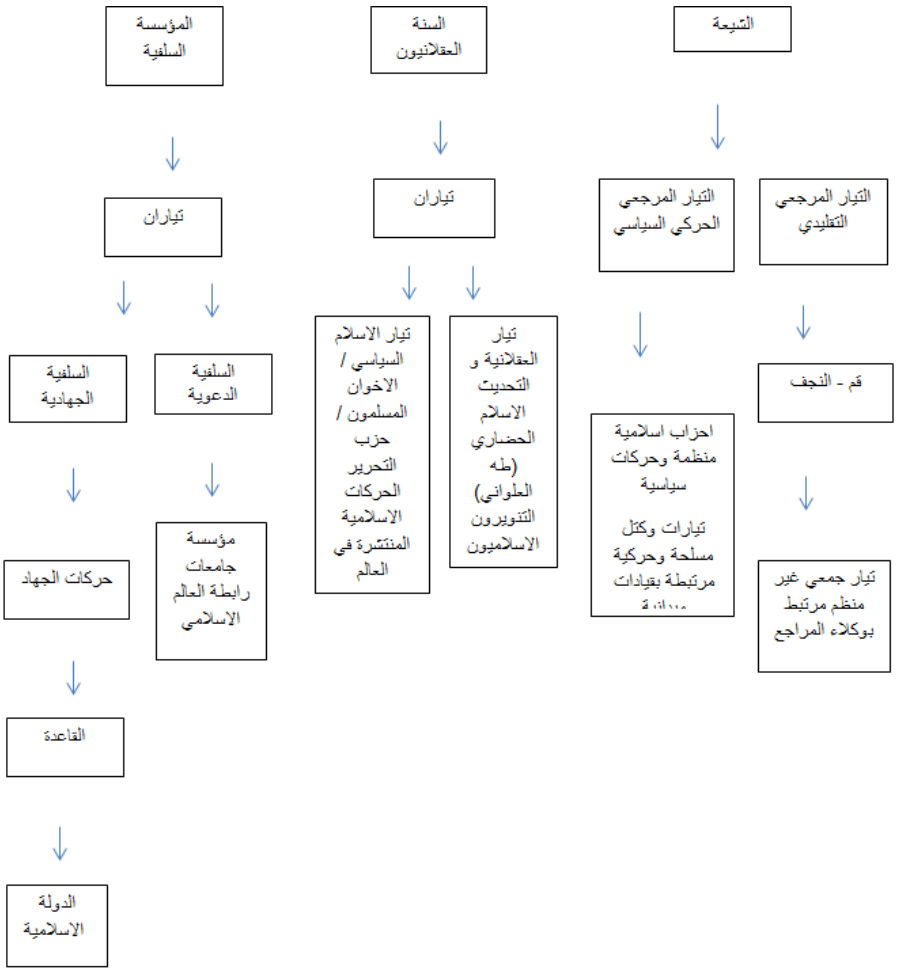

النشأة التاريخية للنجف الاشرف و دورها السياسي :

تقع مدينة النجف الاشرف في الجنوب الغربي للعراق ، غرب نهر الفرات وهي ربوة عالية نسبيا مرتفعة بمقدار ٧٠ م على منخفض مائي يبلغ (٣٦٤ كم) وكان الطريق البري الى مكة تمر بها قوافل الحج القادمة من تركيا وإيران وبقاع أخرى من العالم ويقال ان بختنصر (٥٠٠ قبل الميلاد) بنى بها داراً للأسرى الذين ظفر بهم [٧]وبها نزل العرب عند فتحهم للعراق و كانت ارضا خضراء مأهولة وبعد تمصير الكوفة عام (١٧هـ) كانت مرعى لأهل الكوفة اذ تبعد عنها (١٠) كم ، وقد دفن فيها الصحابي

خباب بن الارت سنة (٣٧) هـ الذي قتله الخوارج وظلت هكذا بين الرعي و المدفن و المسكن البسيط قليل السكان حتى نهاية العصر الاموي (١٣٢هـ).

وفي منتصف القرن الثاني الهجري بنى المنصور مدينة على ارض النجف سماها الرصافة قبل بناء بغداد و في (سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م) اظهر هارون قبر الامام علي (ع) بعد ان كان مخفياً [٨].

فبنيت بيوت وسكنت مجموعات حول القبر وتوالت العمارات عليها ، فلما زارها عضد الدولة البويهي (٣٧١هـ) وجدها عامرة بالسكان فزادها تقدما عمرانيا ، وانتقل اليها طلاب العلم قبل هجرة الطوسي إليها وفي عام ٤٤٧ هاجم السلاجقة بغداد وشردوا الشيخ الطوسي واحرقوا داره و كرسيه فهاجر اليها وبدأت تنمو فيها بواكير نشاطاتها وفعاليتها كإحدى اهم الحواضر العلمية في العالمين العربي و الاسلامي [٩] ، ومما يذكر عنها ان الدرس العلمي غادرها اكثر من مرة الى الحلة ، و اخرى الى كربلاء واخيراً استقر فيها في مطلع القرن الثالث عشر الهجري بعودة الشيخ جعفر كاشف الغطاء و السيد على الطباطبائي و السيد محمد مهدي بحر العلوم و اخرون اليها من كربلاء بعد وفاة استاذهم الوحيد البهبهاني [١٠] ، واستمرت تقود امرين مهمين هما الجامعة الدينية العالمية للفقه و عقائد اهل البيت (ع) و اكبر معهد لغة العربية و الادب و الفلسفة والمنطق.

والامر الآخر: هي حاضنة للمرجعية القيادية للشيعة في العالم الذين يربو عددهم على (٣٠٠) مليون مسلم ينتشرون في انحاء متفرقة من العالم وكان للنجف مجموعة مواقف سياسية معاصرة ومهمة منها :

١٣١٢هـ : افتى الشيرازي بحرمة تناول التبغ معاداة للإنكليز الذين سيطروا على تجارته [١١]

١٩١١: افتى علماء النجف بالوقوف مع الدول التي يحتلها الغرب مثل ليبيا ١٩١١[١٢]

١٩١٨: قاد علماء النجف ثورة محلية ضد الانكليز في الفرات الاوسط [١٣]

١٩٢٠:اعلنوا ثورة عارمة ضد الانكليز سميت ثورة العشرين حصل العراق بعدها على الخروج من الانتداب [١٤]

١٩٣٦: دعا الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الى وحدة المكونات العراقية تحت شعاره الشهير (وحدة الكلمة و كلمة التوحيد) وحارب الطائفية وحّرم الاساءة للرموز الدينية للمذاهب الإسلامية الإخرى .

١٩٥٩: وقفت النجف ضد قانون الاحوال الشخصية ١٩٥٩ رقم ٨٨ الذي خالف في بعض مواده احكام الشريعة [١٥] الإسلامية مثل تسوية الذكور والإناث بالإرث .

١٩٦٣: واجه علماء النجف (قسوة حكام بغداد و اعتدائهم على الاخرين وواجهتهم من عام ١٩٦٣حتى ٢٠٠٣ سنة انتهاء الديكتاتورية اربة أربعين سنة من الصدام والممانعة .

١٩٧٥ : استنكروا الحرب الحكومية على الاكراد و حرموها عام ١٩٦٥ – ١٩٧٥

١٩٩٠ : استنكروا غزو الكويت من قبل صدام حسين ١٩٩٠ .

٢٠٠٣: رفضوا الاحتلال الامريكي رفضاً قاطعاً ٢٠٠٣ .

٢٠٠٤: دعوا الى انتخابات عامة لكتابة الدستور الدائم [١٦] ٢٠٠٤ .

موقف النجف الاشرف وتياراتها من اصوليات العنف :

لقد ظهرت التيارات الجهادية في الثمانينات في مصر وارتكبت مجموعة من الإعمال المروعة في هذه الحقبة وتنامت فأصبحت ظاهرة جديرة بالمتابعة وبما ان للنجف تيارين احدهما مرجعي والآخر سياسي حركي فكان لكل من التيارين موقف منها :

أ- موقف التيار المرجعي التقليدي من اصوليات العنف :

يلاحظ الدارسون ان المرجعية الدينية : لم تبد اهتماماً عقائدياً لنشوء التيارات الأصولية العنفية ولم يظهر لديها رفض فتوائي لهذه الجماعات كما لم تظهر مواقف محدده ، إزاء نشوء الظاهرة في السبعينات ، ولم تلاحق هذه الظاهرة حتى بالرصد والدراسة والتحليل ، حتى تطور هذا التيار (في الثمانيات) إبان الحرب على ايران فازدادت الهجمات على الشيعة في

الباكستان، وشن هجومات على الشيعة في (أفغانستان) ، وتحالف هذا التيار مع صدام في حربه على ايران وما بعدها ، ورغم ذلك كله فلم يكن حافزاً لها لكي تقوم بالرصد والتحليل .

وفي الفترة من ٢٠٠٣- ٢٠١٤ ، رغم مرور اكثر من عشر سنوات على مسلسل (التفجيرات الدامية في العراق) لم يتعد موقفها سوى (الادانة) والشجب ، و ابتعد هذا التيار عن اتهامهم بالردة ولم تلجأ الى (التكفير) ولم تدعُ الى قتالهم علنا وتمسك بالنصح والوحدة والارشاد و الدعوة الى التسامح.

ب-موقف التيار الحركي الشيعي : سار هذا التيار مع التيار التقليدي حتى ٢٠٠٦ وفي هذا العام اوغلت الجماعات المتطرفة بالقتل على الهوية والتفجيرات بالسيارات والاحزمة فاضطر دفاعا عن الناس الابرياء ان يواجه هذه الجماعات بالملاحقة والرد لاسيما قد اثخنتهم التفجيرات والقتل على الهوية فواجه العنف العشوائي (بعنف مقابل له) (داخل العراق) دون ان يكون هناك مجموعات ذكية تعمل وخارج العراق أو في مناطق نشوء الاصوليات العنفية عملا مهما تجسد فيه الاحتواء ، والاختراق ، والتصفيات او اكتشاف مراكز التمويل والتكوين والإمداد .

بعد ٢٠١٤/٦/١٠ تحرك التيار المرجعي التقليدي للمواجهة فأفتى بالجهاد الكفائي لمواجهة عسكرية شاملة لحماية التجربة الديمقراطية ، وحماية العتبات ، و الوجود الشيعي فتجاوب معها التيار الحركي ، لكننا الى الان لم نرصد ابدا محاولة لتحليل وتفكيك الظاهرة من الناحية العلمية والفكرية في الحاضر والرؤية المستقبلية .

سمات رد الفعل الشيعي على الارهاب في رأي الباحث :

لا يتعدى رد الفعل الشيعي سوى عبارة عن محاولة للدفاع الشـــرعي ، الذي أجبر عليه ويتميز:

أ- بان ينطلق من التمييز بين السّنة والارهابيين فلا يداخل بينهما .

ب-لا تزال الدعوة قائمة لاحتواء السّنة وعدم إجبارهم على الاصطفاف مع التطرف والإرهاب .

ت-عدم التفكير بوسائل الضغط على السعودية ، لوقف الدعم و التمويل بهذه الجماعات.

ث-العجز امام تداعيات الصراع السعودي الإيراني ، فليس للمرجعية في النجف دور مستقل عن السيناريو الإيراني في المنطقة .

ج- اصطفاف التيار الشيعي الحركي الى حد ما مع الاستراتيجية الإيرانية في العراق – لاتفاق الاهداف المرحلية وبذلك تكون المرجعية الدينية التقليدية في وضع أكثر صعوبة ، وبها حاجة لاعتماد توازن أصعب .

ونتوقع ان تكون الصورة المستقبلية هي :

- تفاهم اعمق بين التيارين (المرجعي و الحركي) إزاء التحدي الارهابي الذي ينطلق من منطلقات طائفية .
- تفهم افضل من كل منهما للآخر وانتهاء عصر الاختلاف بينهما.
- ربما نحن امام احتمال ظهور موجه ثالثة تحمل جينات التيارين ،او تحمل تطور الاتجاه المرجعي التقليدي نحو مزيد من الحركية أو الممارسة السياسية

ويلاحظ أن مرجعية النجف تدعو الى :

١- اعادة النظر بالتراث الفكري الذي نشأ في عصور سابقة لها ظروفها الخاصة ، ودراسة مدى انعكاسها على الوضع الحاضر على اساس منهج علمي موضوعي يفسر النصوص تفسيراً برهانياً وسطياً رشيداً ، وهذه الدعوة تنمو عند جماعات التنوير .

٢- دعوة الناس الى ان يأخذوا دينهم من مؤسسات دينية امينة على حاضرهم و مستقبلهم و عدم تلقي المعرفة الدينية من (جماعات) لا تملك تاريخاً مشهوداً من المهارة في الاجتهاد والنزاهة في السلوك .

٣- وضع مراكز ابحاث خاصة لتحليل الغلو و التطرف وإجراء دراسات للوصول الى اسباب نشوء مثل هذه الظواهر في العالم الإسلامي لا سيما في جانبه غير الشيعي وتحديد سبل الحوار معها وتفادي آثارها السلبية على المجتمع وتقدمه

٤- تنقية المقررات الدراسية في المعاهد الدينية غير الأكاديمية من بذور الارهاب ، والالتفات الى الآراء التي تكفّر المجتمع وتهدر الدماء سواء في كتب العقائد او التفسير او كتب الفقه والتاريخ

٥- تعميق النزعة الانسانية في الفكر الاسلامي في ابحاث تعلي قيم التسامح والتعددية.

٦- منع الشيوخ والخطباء و المتصدين للفتوى من تحريض الناس على العنف ، وتحريم ذلك تحريماً دينياً لاسيما في خطب الجمعة ، والمناسبات الدينية .

٧-اعتماد مبدأ الأصل في المسلم العدالة والايمان الا اذا ثبت العكس بالدليل الجلي

وقد صدرت في ٢٠/ شباط ٢٠١٥ وثيقة خاصة من مرجعية النجف سميت :

بوصايا المرجعية الدينية فـي النجف الأشرف القيت في خطبة الجمعة ٢٠١٥/٢/٢٠في كربلاء المقدسة من قبل ممثل المرجع الأعلى للشيعة جاء فيها:-

١- الله الله في النفوس ، فلا يستحلن التعرّض لها بغير ما أحلّه الله .

٢- أن أمير المؤمنين (ع) كان ينهى عن التعرّض لبيوت أهل حربه ونسائهم وذراريهم رغم إصرار بعض من كان معه – خاصّة من الخوارج قبل إنشقاقهم على استباحتها وكان يقول : (حارَبنا الرجال فحاربناهم ، فأمّا النساء والذراري فلا سبيل لنا عليهم ، لأنهن مسلمات وفي دار هجرة).

٣- الله الله في اتهام الناس في دينهم نكاية بهم واستباحة لحرماتهم فلا تقعوا في الأثم كما وقع فيه الخوارج في العصر الأول ، وتبعهم في هذا العصر قوم من غير أهل الفقه في الدين .

٤- اعلموا أنّ من شهد الشهادتين كان مسلماً يُعصم دمُه ومالُه وإن وقع في بعض الضلالة وارتكب بعض البدعة ، فما كلّ ضلالة توجب الكفر ، ولاكلّ بدعة

تؤدي إلى نفي صفة الإسلام عن صاحبها ، وربما استوجب المرء القتل بفساد أو قصاص ، واستفاضت الآثار عن أمير المؤمنين (ع) نهيه عن تكفير عامّة أهل حربه كما كان يميل إليه طلائع من الخوارج الذين كانوا في معسكره بل كان يقول أنهم قوم وقعوا في الشبهة .

٥- الله الله في أموال الناس ، فإنه لا يحل مال امرئ مسلم لغيره إلاّ بطيب نفسه ، فمن استولى على مال غيره غصباً فإنّما حاز قطعة من قطع النيران .

٦- الله الله في الحرمات كلّها فإيّاكم والتعرّض لها أو انتهاك شيء منها بلسان أو يد ، واحذروا أخذ امرئ بذنب غيره ، فإنّ الله سبحانه وتعالى يقول (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، فلا تاخذوا الناس بالظنّة وتشبهوه على أنفسكم بالحزم .

٧- لا تمثّلوا بقتيل ، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم .

٨- كونوا لمن قِبَلكم من الناس حماة ناصحين حتى يأمنوا جانبكم على عدوّكم ، بل أعينوهم ناصحين حتى يأمنوا جانبكم ويعينوكم على عدوّكم ، بل أعينوا ضعفاءهم ما استطعتم ، فإنّهم إخوانكم وأهاليكم .

النشأة التاريخية للأزهر الشريف ودوره السياسي :

الأزهر : في الأصل هو جامع وضع اساسه جوهر الصقلي قائد جيوش المعز لدين الله الفاطمي في ١٤/ رمضان ٣٥٩هـ - ٩٧١ م وقد بني خلال سنتين وافتتح في رمضان ٣٦١ هـ وبقي هذا الجامع والجامعة حاضرة مهمة في العالم الإسلامي يسهم في اغناء المعرفة والفكر والفقه والعلوم الانسانية حتى العصر الحديث [١٧] وقد استحدث العثمانيون منصب (شيخ الأزهر) وكان أول شيخ له الشيخ محمد الخرشي المالكي (١٦٨٩م) [١٨] الذي إصبح بمثابة الإمام الأكبر.

و قد تراجع مركز الازهر في العصر العثماني ٩٢٣-١٢٢٠ الى حد كبير وفي مطلع القرن الماضي جرت اكثر من محاولة لتطويره منها محاولة الشيخ الامام محمد عبدة التي قدمها الى الخديوي عباس الثاني وصدر على اثرها قانون تمهيدي في ١٧-

رجب ١٣١٢ = ١٨٩٥ وصار له مجلس ادارة يضم فقهاء (المذاهب الاربعة) [١٩] والمحاولة التي جرب إيام الرئيس عبد الناصر لتطوير الازهر .وصدرت صيحات الدفاع عن مصر ضد التتار والصليبين وضد الحملة الفرنسية ١٢١٣-١٧٩٨ وقادوا ثورتان ضد نابليون في أكتوبر ١٧٩٨ ومارس ١٨٠٠ ومنه انطلقت حركة المقاومة ضد الحملة البريطانية ١٨٠٧ الحركة ضد الخديوي ١٨٨٠ وشارك الازهر مشاركة جادة في ثورة ١٩١٩٠ وقد صدر له قانون اصلاح وتطوير آخر في ١٩١١٠ وتطور شأنه بعد ١٩٥٢ .

رؤية الازهر الشريف لمناشيء التطرف الديني :

أ- يرى الازهر أن جزءاً من مناشئ التطرف مرتبطة بالتاريخ فقد حصلت موجة متطرفة (سرعان ما تلاشت) لكنها و أنشات وقتها مذهباً فكريا متشدداً يسوغ استعمال العنف ضد المخالفين ولكن سرعان ما طواها التاريخ .[٢٠]
وكان آنذاك منهجاً للفرقة والاختلاف وهو مشروع الخوارج الذي ظهر عام ٣٧ هـ وانطوى في بدايات الخلافة العباسية أي شغل من تاريخنا ما يقارب القرن من الزمان [٢١] الا أنه بقي فكر ونظرية وممارسة تاريخية .

ب-ويرى الازهر إن الغلو والتطرف ليس نتاج أو مخرجات النص بالضرورة إنما هو نمط من إنماط فهم النص والجنوح الى التفسيرات المتطرفة للنصوص وتسويغ ممارسة العنف كوسيله ، فهو فهم خاطيء ومنحرف للنصوص .

ت-يرى الازهر أن جزءاً من مكونات الظاهرة أيضاً افتاء شيوخ انصاف فقهاء تسوغ افعالهم وتحثهم وتدفعهم الى اراقة الدماء وتحث الاخرين على تمويلهم [٢٢] .

ث-ويرى الازهر اننا لا يمكن ان نسند الظاهرة المتطرفة الى ((عمل الاجانب)) فقط ونتعكز على المؤامرة الدولية إنما علينا أن نبحث عن أسبابها الذاتية ولا نقف عند الاسباب الخارجية ، لكي نعفي انفسنا من التسبب بإنتاج ظواهر العنف الديني في مجتمعنا.

ويدرج الازهر نماذج من الفهم الخاطيء والسقيم لدى هذه الجماعات للنص الديني الاسلامي - ففي صدد – تكفير المسلم بالذنوب فقد اتفق المسلمون على أن الذنوب مهما كانت لا يُكفر المسلم بها الا إذا استحلها ، لذلك فارتكاب الذنب معصيه قابلة للتوبة من العبد والغفران من الله تعالى ولا يقصى أو يخرج من الملة مرتكب الذنوب كبائرها وصغائرها [٢٣].

وعلى الرغم من هذا الاجماع فان (جماعات التعصب والعنف) تضع التكفير وآثاره الخطيرة على خلفية ارتكاب الذنوب والمعصية ..

مخالفين بذلك ما اتفق عليه المسلمون من أن الكفر مناطه القلب فإذا أنكر المرء أحدى ثوابت العقيدة : (الله / رسله / ملائكته / اليوم الآخر / القضاء والقدر .... الخ) إنكاراً قلبياً وجحد التوحيد والوحي وخلا قلبه من التصديق فذلك هو الكافر الذي يعامل اولاً بالحسنى والحوار والدعوة بالحكمة والموعظة والحسنة والجدال الحسن فان لم ينفع يلاحظ ضرره على المسلمين ويتم التعامل معه على وفق قاعدة الضرر يزال وحينما نستسهل التكفير بهذا الشكل يكون لدى هذه الجماعات متسع لشمول الكثير من المسلمين بالتكفير لا سيما وأنهم يرتبون على التكفير (القتل والسبي وسلب الممتلكات الشخصية ، ومصادرة الحقوق والتهجير) فان هذا المدخل سيؤدي الى ويلات ومحن ومآسي لا تقوم على حقيقه دينية إنما على فهم خاطيء للنص وشهوة للانتقام ودعوة لتدمير الحياة والمدينة ، وصوره مشوهة عن الاسلام.

- من النماذج التي يوضحها الازهر هو الفهم السقيم للجهاد الذي حوله الارهابيون من وسيلة منظمة للدفاع عن الذات والعقيدة الى شريعة للاعتداء والقتل ، فالأزهر الشريف على قناعة كاملة أن الجهاد لم يشّرع الا للدفاع عن الذات وان علة القتال والباعث على الجهاد ليس الكفر إنما العلة والباعث هو العدوان على ممالك الاسلام [٢٤] وحينما يكون باعث الجهاد هو الكفر الذي يجعلونه مرتباً على اقتراف الذنوب بحيث يشمل اكثر قطاعات المجتمع تدخل

المجتمعات بالفوضى ، والفتنة ، والاحتراب الداخلي وتراق الدماء لا على اساس حقيقي إنما على فهم خاطيء ومنحرف .

- أما موضوع الخلافة واعادتها فان الازهر يرى أن شكل الحكومة في الاسلام امر تركه القرآن الكريم للفراغ الاجتهادي ، وان العالم اليوم له نظمه التي تقام الدول على اساسه ، ولا يمكن سحب نمط من إنماط التجارب التاريخية وقسر الحاضر عليها اضافة الى ان الازهر يعتقد بان الامامة والخلافة من مسائل الفروع أي أنها من مسائل الاجتهاد فهي تقبل الرأي والرأي الآخر ويلزم لإقامة دولة إسلامية ان تكون ناتجة عن شورى حقيقية شاملة للمسلمين الذين يخضعون لها ولا تفرض بأراده (جماعات) قليلة العدد ، ضعيفة التأهيل العلمي ، منغمسة في شهوه القتل والسلب [٢٥]

- وفي شأن ممارسة القتل فان الاسلام كما يراه الازهر يمنع من قتل الانسان أي أنسان الا – لجرم يثبت عليه قضائياً فلا يحل لأحد سلب حق الحياة من أي أنسان مهما كانت عقيدته.

- ويرى أن قتل المسلم واحدة من الجرائم التي يهتز لها عرش الله ، كما أنه يرى أن قتل غير المسلم احدى جرائم الاذى لرسول الله لقوله (ص) : (من آذى ذمياً فقد آذاني) [٢٦] بحيث يمكن أن نخلص من هذا الى عدم شرعية الاعتداء على النفس أياً كانت ديانتها .

- ويرى الازهر : أن اصوليات العنف لا تملك مشروعاً للحياة ولا برنامجاً للبناء والتطوير إنما لديها أجندة تؤدي الى التدمير المتعمد وازهاق الارواح وتفتيت الامة وجعلها في اشد الفتن وتقوم بتهجير الناس والاعتداء غير المسوغ على الثقافات الانسانية .[٢٧]

- وأخيراً فانه يدعو الى (حملة عامة) لتصحيح المفاهيم الخاطئة التي اخرجت الاحكام عن سياقاتها الصحيحة ودعوة الناس الى مجتمع القيم والتسامح والسعي نحو التقدم العلمي .

ويقيّم الازهر اصوليات العنف على :

- انها جماعات تؤسس تهديداً للأمن القومي المصري وتهديدا للأمن العالمي (ومن تلك هجماتهم في ١/١١يلول)
- وانهم مجرمون و أفعالهم تشوه الإسلام ، وهي سبب من أسباب أنتشار الالحاد الجديد في العالم الإسلامي وسبب في حقن الغرب بكراهية شديدة للإسلام والمسلمين بسبب اعمال العنف والوحشية ويرون انهم ادخلوا متغيرات على عقائد المسلمين ، وادخلوا على فقه الجهاد ما ليس منه واهدروا اخلاقيات الإسلام اثناء الدفاع عن الوجود الإسلامي ولديهم توصيفان :

أ- اما خوارج معاصرون .

ب-أو صناعة امريكية مخابراتية .[٢٨]

نشأة التيارات الاصولية في الحجاز :

هناك نظريتان احداهما ترى أن مصر كانت البلد الأول الذي نشأت به التيارات الاصولية المتطرفة ، والرأي الآخر أنها الحجاز والواقع نشات الاصوليات السلفية المعاصرة من (الحرمين الشريفين) وقد كانت الحجاز بعد سيطرة الشيخ محمد عبد الوهاب و آل سعود مذهب الحنابلة و على مسلك ابن تيمية ومع نشأة الدولة السعودية صارت الدولة والمجتمع على مسلك سلفي جديد فانشت المؤسسات السلفيات المتنوعة :ـ

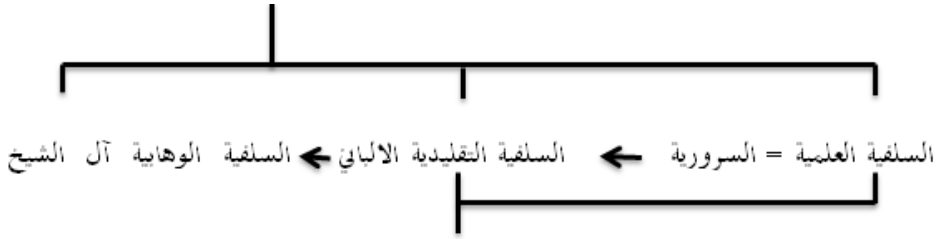

السلفية الرسمية (السلطة) الدينية في المملكة

وتقوم السلفية الرسمية بالأمور الآتية :

- تشكيل صياغة فكرية دينية ثقافية محددة للمجتمع السعودي والجاليات المقيمة والمجتمعات التي ينقل لها هذا المسلك ولا تعترف بنموذج آخر .
- تشرف على مؤسسات القضاء (ومجلس القضاء الأعلى الذي تشكل عام ١٩٧٥) .
- تشرف على مؤسسات التعليم العام والديني و منها هيأة كبار العلماء (الإفتاء) وتشرف على مؤسسة هيأة الإمر بالمعروف (للرقابة على تطبيق الشريعة) فهناك ٤٧٠ مكتب و ٤٤٠٠موظف) يمارسون مهام الرقابة على اداء الفرائض والالتزام بالدين وإجبار الناس على مسلك ديني .
- اسست رابطة العالم الإسلامي + المجمع العلمي (للعلاقات العلمية ، والخارجية) .
- اسست جامعتين اسلاميتين في المدينة المنورة ومدينة الرياض لتصدير هذه الرؤية للعالم الاسلامي .
- وتمتلك النفوذ لاستغلال شعيرة الحج وتستثمر اجتماع المسلمين من كل أنحاء العالم للتبشير بمسلكها ففترة الحج تعد موسماً لتجنيد الكثير من الناس لهذا المسلك .
- يقع تحت يدها فائض (١٠) ملايين برميل نفط سنوياً تتصرف به لاغراض نشر رؤيتها في جميع أنحاء العالم .
- وتشرف على التبليغ العالمي ، والتنظير المذهبي الواحد ، وتبتعد عن المقارنة واحياناً كثيرة تدعو الى المسلك الطائفي التكفيري لاسيما في سياق المواجهة السياسية مع ايران ينتج عنها :

١- بيئة فكرية (محلية وعالمية) تعد حاضنة للتكفيريين وساندة لمقولاتهم في العقائد والأحكام والتقاليد اليومية.

٢- حاضنة ممولة للأصوليات بأموال طائلة يكون قسم منها تبرعات خالصة وقسم أخر حقوق مالية شرعية .

٣- تعد السعودية موردّاً بشرياً ضخماً لهذه الجماعات تحولت الى مؤسسات تجنّد لهذه الجماعات مقاتلين وممولين وشيوخ للإفتاء من البلدان الاخرى

لكن المؤسسة التقليدية السلفية تواجه تحديات على المشروعية من :

- فالاخوان المسلمون لديهم (منظمة عالمية) ويسعون من خلالها لقيادة العالم الاسلامي بدل المؤسسات السلفية.

- ان جماعات الصحوة الإسلامية الذين دمجوا بين الوهابية وفكر سيد قطب يتكاثرون بالحجار ويتأهبون لكي يكونوا البديل عن المسلك الوهابي التقليدي .

ان السلفية الجهادية التي نشأت عن سلفية تقليدية تطورت بما لا يمكن بقاؤها تحت السيطرة لاسيما بعد تورا بورا والضربات الأمريكية لذا ظهر موقف السعودية السلبي من ابن لادن و الجماعات الجهادية فكان رجوع المملكة عن ذلك المسلك متأخراً لاسيما بعد تمكن هذه الجماعات من ادارة نفسها وتمويل جماعتها فلا بد من مراجعة شاملة لنمط التعليم الديني المعتمد في العربية السعودية في الوقت الحاضر ، رغم اننا ونعتقد أن السعودية عاجزة عن انتاج تيار اصلاحي إسلامي يعيد قراءة العصر قراءة موضوعية.

ومن جهة فالمواقف السياسية في السعودية تدعم داعش في سوريا دعما علنيا وهي ذاتها التي تدعمه في العراق دعماً سريا بالأموال والاشخاص والاعلام والاسناد السياسي الدولي ولا تزال تعد ذلك استراتيجية وطنية لها لكن وفي نفس الوقت تعتبر أي تحرك لداعش على تخوم الخليج او الاقتراب من السعودية مدعاة (لاستنفار اكبر) ضد ما تسميه (التنظيمات المتطرفة) التي

ترتكب جرائم الحرابة وتصفهم بانهم مفسدون في الأرض وتطالب بإيقاع اغلظ العقوبات .

فالخلاصة : ان داعش والقاعدة خرجا من بيت الطاعة لكن لأنهما (يلتقيان على اسقاط النظام السوري) فالإمداد لهما يحقق مصلحة (سياسية) .

أما أدبيات القاعدة ومشتقاتها فانها من تهاجم السعودية وانها تخطط للوصول الى ثروة النفط ومكانة الحرمين الشريفين .

الدور التركي :جاء في بعض التحليلات أن تركيا تريد هي الأخرى أن تكون مركزا إسلاميا (عثمانيا) وهي تدعم حالياً داعش لضرب سوريا والعراق ومصر وأخيراً السعودية للتخلص من مركزيتها (المهيمنة) لتكون هي المركز باعتبارها عاصمة الخلافة الأخيرة للمسلمين وهي تملك اقتصاداً ناهضاً غير ريعي وهي قادرة على ان تكون عاصمة المنظّمة العالمية للاخوان المسلمين

ويفسر تحفظ السعودية من الدخول بحلف دولي ضد داعش ، انها اذا اعلنت الدخول في حلف ضد داعش فانها تخشى حركة في الداخل السعودي أو من اثارة السؤال التالي : لماذا تقفون مع الغرب الكافر ؟ وتقتلون من يقاتل الغرب وايران والشيعة والنصيرية .

خلاصــة القول :

أ- أن المراكز الدينية الكبرى في العالم الإسلامي لا تزال في مرحلة الشجب والإدانة والتنديد للأصوليات في أغلب الأحوال ، وإصدار البيانات لا يغير الواقع .

ب- أن النجف و قم و الازهر والمؤسسات الدينية بالعالم بإمكانها لثقلها المعنوي ومرجعيتها ان تؤثر على اختيار التابعين لها من خلال مجموعة من الاجراءات و الآليات :

١- اعلان البراءة من قوى التطرف واصوليات العنف .

٢- اعلان أنهم متمردون على الإسلام المحمدي ، وارتكابهم للجرائم يعد ارتكاب جنائي ضد الإنسانية و اعتبارهم مجاميع اجرامية متمردة تلاحق دولياً .

٣- عقد مناظرات فكرية لكبار العلماء لأسقاط مشروعيتهم الدينية امام العالم اجمع .

٤- تشكيل ضغط على دول العالم لمحاصرة التمويل والامداد ، والحواضن الفكرية للارهاب

٥- مناشدة المؤسسة التعليمية السعودية السلفية بضرورة مراجعة شاملة لنظام التعليم (الذي يصنع اصوليات العنف) .

هوامش البحث

(١) السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ٢٠١/١ .

(٢) د. عبد الامير كاظم : اشكالية فهم النصوص ص ٣٨ ، ظ محمد العبد الكريم /٢٠١.

(٣) د. عبد الامير كاظم : اشكالية فهم النصوص ص ٣٠

(٤) د. علي زهير : مدينة قم المقدسة النشأة والتطور .

(٥) السيد ابن طاووس: فرحة الغري ص ١١٤

(٦) عثمان بن بشر النجدي: عنوان المجد في تاريخ نجد ٨/١

ظ : ابن باز: محمد بن عبد الوهاب دعوته و سيرته ص ١٩

(٧) محمد جواد فخر الدين : تاريخ النجف ص ٣٧

(٨) الطبري : تاريخ الرسل و الملوك ٤٥٨/٧، ظ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٣٤٠/٤، الشيخ المفيد : الارشاد ص ١٩ ،

(٩) د. حسن الحكيم : الشيخ الطوسي ص ١٧٤

(١٠) د. محمد عبد الحسن الغراوي : الوحيد البهبهاني ص ١١٩

(١١) د. العقيقي : كفاح علماء الاسلام ص ١٣

(١٢) د. العقيقي : كفاح علماء الاسلام ص ٩٧

(١٣) د. العقيقي : كفاح علماء الاسلام ص ١١٥

(١٤) فريق مزهر فرعون الحقائق الناصعة ٦٧، ظ عباس كاظم مرويات ثورة العشرين ص ٦٦

(١٥) محمد بحر العلوم : اضواء على قانون الاحوال الشخصية ص ٢٩
(١٦) نجوى صالح الجواد : المرجعية الدينية في العراق ص ٢٣٧
(١٧) محمد احمد بيومي : ظاهرة التطرف :الاسباب و العلاج ص ٨٧
(١٨) نبيل عبد الفتاح : سياسات الاديان ص ١٧
(١٩) نبيل عبد الفتاح : سياسات الاديان ص ٢٢
(٢٠) ناجية الوريمي : الأئتلاف و الاختلاف ص ١٨٠
(٢١) م.ن ص ٣٠
(٢٢) محمود شاكر الخفاجي : فوضى الفتوى ،بحث منشور في مجلة دراسات الكوفة عدد /٣٦ السنة ١٨.
(٢٣) الشهرستاني : الملل والنحل ١٥٨/١
(٢٤) فتح الله كولن : روح الجهاد وحقيقته في الاسلام ص ١٣
(٢٥) خطاب الامام الاكبر في مؤتمر الارهاب فبراير ٢٠١٥
(٢٦) السخاوي : المقاصد الحسنة ٢٦٣/١
(٢٧) د. عبد الامير كاظم : اشكالية النصوص ٤٦٣
(٢٨) خطاب الامام الاكبر فبراير ٢٠١٥